المقدمة

(تلخيص لما سبق)

في الجزء الاول من هذا الكتاب ذكرت ما جرى في فلسطين من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم ، ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، الى اليوم الذي انتهى فيه الانتداب ، ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، وانسحب الجيش البريطاني من البلاد.

انك اذا مـــا تصفحت ذلك الجزء علمتَ : كيف صدر قرار التقسيم .. وكيف استغلت الدول الكبرى ، ولا سيما ، الولايات المتحدة وبريطانيا ، نفوذها من اجل اقراره في هيئة الامم .. ومعنى ذلك القرار ، واهدافه ... والفوضى التي شملت البلاد من ادناها الى اقصاها ، اثر صدوره .. ومـــا واكب ذلك من قتل وعنف وحرق ونسف وتدمير ...

وفي الكتاب وصف دقيق . . مدعم بالاسماء والارقام . . لجميع المعارك التي حدثت بين العرب واليهود في مدينـــة القدس : يوم نسف المجاهدون شارع هاسوليل ، وحي بن يهودا ، ودار الوكالة اليهودية . . ونسف رجال الارغون فندق سميراميس ، ونادى الضباط البريطانيين . . وفُجّرتْ الغامهم التي زرعوها عند باب العمود وباب الخليل ، فقضوا على عدد من المناضلين ... ويوم سقط القسطل ، وقامت مذبحة دير يس ... وانتقم المناضلون لاخوانهم شهداء القسطل والدير عندما وقفوا بالمرصاد لقافلة الهـــداسا ؛ في حي الشيخ جراح ؛ ففتكوا بها فتكاً ذريعاً ،وقتلوا من رجالها ـ باعتراف اليهود انفسهم ـ مئة واثنين وعشرين..

هذه الحوادث كلها .. ذكرتها جملة وتفصيلا .. في الجزء الاول من كتابي .. وفي ذلك الجزء الاول من الكتاب وصف للجهود التي بذلت لجعل القدس مدينة مفتوحة ، والنتائج التي بلغتها تلك الجهود .

وكذلك قل عن المعارك التي حدثت في يافا وحيفا وصفد وطبريا وبيسان ، وما الى ذلك من المدن العربية .. وفي الزراعة ومشمارهاعيمك وكفار عصيون ، وما الى ذلك من المستعمرات اليهودية ...

وفيه فصول عن (جيش الانقاذ) : كيف ومتى نشأ ؟ وعن قائـــده فوزي القاوقجي . وعن (اللجنة العسكرية) التي عهد اليها مجلس الجامعة بمهمة الدفاع عن فلسطين قبل ان تدخلها الجيوش العربية ، وعن رئيسها واعضائها ، وما فعلته هذه اللجنة من اجل جمع السلاح وتوزيعه ... وعن اجتماعات (الجامعة العربية) في عالية والقاهرة وفي عمان ودمشق ... وعن (الهيئة العربيـــة العليا) وفروعها المختلفة ... وعن (الجهاد المقدس) و (فرقة التدمير العربية) وسائر فرق الجهاد و (اللجان القومية) من مختلف انحاء البلاد ...

وفيه فصل عن مشكلة السلاح ، وما لقيه العرب طوال فترة القتال من مشقة وعناء في سبيل التسلح ، وموقف الدول العربية من قضيـــة فلسطين ، ومن قرار التقسيم .. واختلاف القادة .. وتباين المقاصد والاهداف ...

وفي الكتاب ارقام تهديك الى عدد المقاتلين من كلا الجانبين وقادتهم واسلحتهم وموقف كل منهما حيال الآخر في الميـــدان الدولي ، وما تكبداه من خسائر في ميادين القتال .

وفي الصفحات الاخيرة وصف للفوضى التي شملت البلاد بوجه عام ومدينة القدس بوجه خاص ، عندما انسحب الجيش البريطاني منها ، ووقف الفريقان وجهاً الى وجه يقتتلان .. حتى قناصل الدول الاجنبيـــة .. فانهم لم ينجوا من الخوف والفزع . وقبعوا من منازلهم ، لا يستطيعون حراكاً . وما كان ليجدى في تلك الايام الرهيبة ، الاوراق الرسمية التي كانوا يحملونها ليبرهنوا على انهم ...

ينتسبون الى السلك السياسي (١) . وارادت جمعية الصليب الاحمر ان تنقذ المتحف الفلسطيني من الخطر ، فرفعت على برجه علمها . ولكن هذا لم يبق اكثر من يوم واحد اذ جاء المناضلون العرب ، فانزلوه ، ورفعوا مكانه العلم العربي .

هكذا كان الوضع في المدينة عندما انسحب الجيش البريطاني منها في ١٤ ايار . وكذلك قل عن الوضع في سائر انحاء فلسطين ، اذ اخذ الفريقان يقتتلان حيثما التقيا .

الجيوش العربية تجتاز حدود فلسطين

●

في ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين بغية انقاذها من براثن الصهيونيين . اجتازتها باعداد مختلفة ، بعضها كان يقصد فعلا انقاذها ، وينوي القتال حتى النهاية ، وبعضها كان ينوي ان يقف عند الحدود التي رسمتها هيئة الامم في قرار التقسيم . وما كانت كلها، لا فرق بين الواحد منها واخر، مجهزة تجهيزاً كافياً يضمن لها النصر .

اما سوريا فانها هي الدولة العربية الوحيدة التي ، عندما جد الجد ، عقدت النية على انقاذ فلسطين . ورأت انه لا بد لانقاذها من دخول الجيوش العربية واشتراكها الفعلي في القتال ، هذا مع العلم بانها لم تكن ، من الناحية العسكرية ، على استعداد تام للقتال .

ولم يكن لديها يومئذ سوى خمسة عشر الف رجل (٢) قليل منهم هم المدربون على القتال ، ومعظمهم من الاشخاص الذين خبروا اعمال الامن والدرك فقط .

اما الذين زحفوا صوب فلسطين ، فلم يزد عددهم عن الف وخمسمئة مقاتل .

واما لبنان فما كان باستطاعته ان يفعل شيئاً ، اذ انه لا يملك من الجيش ما يكفي لصون الامن في بلاده ،دع عنك القتال. وان استطاع ان يستغني عن فريق من جنده فان هؤلاء من القلة بحيث لا يستطيعون العمل الا في خط الدفاع عن الحدود . وفي ذلك الخط اقام الف مقاتل . وفي قول آخر الفان .

واما العراق فانه وان كان لا يقل عن سورية غيرة على فلسطين ، وقد عقد النية منذ البدء على انقاذها من براثن الصهيونيين ؛ الا ان قادته وفي طليعتهم الامير عبد الاله الوصي على العرش ونوري السعيد ربطوا انفسهم بعجلة (الاردن) . ولقد القى العراقيون

---

(١) قال المونسينور جبرائيل ابو سعدي النائب البطريركي للروم الكاثوليك في مذكراته التي دون فيها حوادث هذا اليوم ان قنصل فرنسا تضور من الجوع هو ورجال القنصلية ، ولو لم يرأف به رئيس معهد الفرير الاخ « اتية فليكس » ويزوده بالمؤن لقضى ومن معه جوعاً .

(٢) من مذكرات محسن البرازي وزير خارجية سوريا في فترة القتال .

في الميدان ، عند بدء القتال ، الفاً وخمسمئة مقاتلا ، وازداد هؤلاء عدداً ، فبلغوا عند اعلان الهدنة خمسة آلاف .

والاردن . . . وان كان كفوءاً للقتال وله جيش مؤلف من رجال لا يقاون اخلاصاً لوطنهم من رجال اي قطر اخر من الاقطار العربية ، الا انه جيشاً وحكومة وملكاً مرتبط ببريطانيا . ولا يستطيع ان يفعل الا ما ترضاه .

ومع هذا فكان عـــدد رجال الجيش العربي الذين خاضوا معارك فلسطين في البدء اربعة الاف وخمسمئة مقاتلا ، هذا من مجموع الجيش وقد بلغ عدد رجاله يومئذ اثني عشر الفاً خلا رجال الشرطة والدرك . وسحب جزء من الجنود الى ما وراء الاردن قبل استئناف القتال للقيام ببعض الواجبات الاخرى .

واما اليمن . . . فانها غارقة في بحار الجهل . . . ولم ترســل الى فلسطين لا جنداً ولا سلاحاً .

واما المملكة العربية السعودية فانها مرتبطة بالولايات المتحدة ... وشركات البترول الاميركية التي لها في تلك المملكة مصالح لا تجارى . وما كان العاهل السعودي شديــد الرغبة في دخول الحرب الفلسطينية ، شأنه في ذلك شأن الحكومة المصرية الــتي كانت ترددت في بادىء الامر . ولما رأت ان الرأي العام المصري يريد ذلك اعلنت الحرب . وحذت المملكة السعودية حذو مصر فاشتركت في القتال .

وقولنا هذا لا يبعد كثيراً عما قاله فؤاد حمزة أحد الرجال السوريين المقربين مــن ابن السعود ، الى محسن البرازي وزير الخارجية السورية يوم زار هذا الرياض (في ٢٥ كانون الثاني ١٩٤٨) ليبحث مسألة فلسطين . فقد قال له ما نصه بالحرف الواحد (١) :

« لا انكر عليك انني لمست تهاوناً من لدن حكومتنا بشأن فلسطين . وشعرت بتردد في المبادرة الى ارسال السلاح بالرغم من قرارات مجلس الجامعة . وقد استهولت ذلك فبادرت الى اقناع جلالته بلزوم تنفيذ تلك القرارات » .

ومع ذلك فان عدد السعودين الذين حاربوا في فلسطين لم يزد عن الالف وخمسمئة . ولقد حارب هؤلاء في قطاع غزة . وكانوا تابعين لقيادة الجيش المصري . وكانوا من الشجاعة والاخلاص على جانب عظيم .

واما الحكومة المصرية فقد رأت بادىء ذي بدء انه ليس من مصلحتها وهي تقف

---

(١) اقرأ مذكرات البرازي المنشورة في العــدد ٢٠٦٧ في جريدة (الحياة) البيروتية بتــاريخ ١ شباط ١٩٥٣

مع الانكليز وجها لوجه ـ ان تزج بجيشها في قتال، وانه اذا كان لا بد من العمل لنصرة فلسطين فليكن ذلك عن طريق المال والاسلحة والمتطوعين . ولكنها ما عتمت ان غيرت رأيها فقررت سوق جيشها اسوة بالجيوس العربية الاخرى .

ولما سأل عبد الرحمن عزام ، الامين العام للجامعة العربية ، محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية كيف ولماذا غير رأيه ، قال له هـذا « انني لم ار مفراً ـ تحت ضغط الحوادث والرأي العام ، وحالة الامن الداخلي وكرامة مصر امام العالم الاسلامي واعتزام الدول العربية الاخرى خوض المعركة الفلسطينية ـ من امر الجيش بالاشتراك في القتال كبقية الجيوش العربية .

قال الفريق محمد حيدر باشا ، القائد العام للقوات المصرية المسلحة ، ان الجامعة العربية هي التي طلبت دخول مصر الى فلسطين ، بوصفها زعيمة الدول العربية ، وكان لا بد لمصر من الاذعان لهذا الطلب . وانه هو شخصياً ما كان يرغب في دخول الحرب للنقص الملحوظ في العتاد .

وقال الفريق عثمان المهدي باشا ، رئيس اركان حرب الجيش المصري ، انه ورجال الجيش الآخرين فوجئوا بحملة فلسطين ، ولم يكونوا على اهبة الاستعداد لها ، وانه عارض في دخول مصر الحرب لعدم وجود العتاد الكافي ، وانه ابدى رأيه هذا في اجتماع حضره رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا ورئيس ديوان الملك ابراهيم عبدالهادي ووكيل الديوان حسن يوسف . وكان ذلك في ١٥ ايار ١٩٤٨ وهو اليوم الذي أعلنت فيه مصر الحرب ودخلت فلسطين .

وقال الفريق عثمان المهدي ان الذي كان يطالب بدخول الحرب هو الملك فاروق بوصفه القائد الاعلى للجيش . وكذلك قال عن مجلس البرلمان ، والجامعة العربية ، والصحف ، والرأي العام .

وهناك من يقول ان الانكليز كانوا يريدون ان تدخل مصر القتال ، وذلك لانهم عرفوا عن طريق بعثتهم التي كانت تعمل في مصر قبل ذلك بسنة (١٩٤٦) انهم بسبب قلة جنودهم وقلة اسلحتهم سيخسرون الحرب لا محالة . وكانوا هم (اي الانكليز) يريدون ان تعرف مصر نفسها ، فتقف عند حدها ، ولا تطالبهم بالخروج من بلادها . لا ، بل انهم كلفوا المصريين ان يمدوهم بالسلاح وبالعون المادي اذا هم طلبوا منهم ذلك وفقاً للمعاهدة ١٩٣٦ ولكن المصريين رفضوا . وهـذا ما جعل الانكليز يقفون وقفة معادية .

وكان عدد الجنود التابعين للجيش المصري والذين دخلوا فلسطين عند بدء النضال

ستة الاف . وازداد هؤلاء في معارك النقب فبلغوا عشرين الفا. يدخل في ذلك المتطوعون من الاخوان المسلمين ، وهم خليط من المصريين والسودانيين والليبيين . ولقد تم تدويب هؤلاء المتطوعين على القتال في معسكرات اعدت لهـــذه الغاية في (مرسى مطروح) و (هاكستب) .

ويمكننا تلخيص الارقام المتقدم ذكرها بقولنا ان مجموع المقاتلين التابعين للجيوش العربية النظامية عندما اجتازت تلك الجيوش حدود فلسطين كما يلي : ـ

عـــــدد	الاسم
١,٥٠٠	الجيش السوري
١,٠٠٠	الجيش اللبناني
١,٥٠٠	الجيش العراقي
٤,٥٠٠	الجيش العربي الاردني
١,٥٠٠	الجيش السعودي
١٠,٠٠٠	الجيش المصري (يدخل في ذلك المتطوعون) .
٢٠,٠٠٠	

اين هذا العدد من النظرية العسكرية القائلة ان عدد الجيش (اي جيش) يجب ان يكون في حالة السلم واحداً فى المئة (١٪) من مجموع عدد السكان وعشرة في المئة(١٠٪) في حالة الحرب . اي ان مصر التي يعيش فيها عشرون مليوناً من السكان ، عليهـــا ان تجند في حالة السلم مئتي الف جندي ، وفي حالة القتال مليونين . مع انها ـ كما ترى من هذه الارقام ـ لم تنزل الى الميدان سوى عشرة الاف مقاتـــل في البدء وعشرين الفاً في المراحل الاخيرة للقتال . وكذلك قـــل عن الجيوش العربية الاخرى فانهـــا لم تنزل الى الميدان العدد الذي يضمن لها النصر من الجنود ، دع عنك النصر ، فانهـــا تخاذلت بشكل جعل بعضها يقبع في الاراضي العربية والبعض الآخر ينسحب حتى عن الارض العربية التي خصصت للعرب في قرار التقسيم، وهذا ما سنذكره بالتفصيل في الفصول التالية:

وكانت الخطة التي رسمها رؤساء اركان حرب الدول العربية في اجـــتماع عقدوه في الزرقاء الى الشمال من عمـــان في اواخر نيسان تقضي بان تدخـــل الجيوش فلسطين في مساء اليوم الخامس عشر من ايار ، وان يزحف الجيش اللبناني من رأس الناقورة نحو الساحل الفلسطيني باتجاه عكـــا . . . وان يقوم جيش التحرير بقيادة فوزي القاوقجي بغارات على منطقة حيفا الـــتي كانت بيد اليهود . . . وان يزحف الجيش السوري من مرتفعات بانياس وبنت جبيل نحو صفد والناصرة والعفولة... وان يزحف الجيش العراقي

عن طريق جسر اللنبي على نهر الاردن باتجاه غور بيسان ، فالعفولة . . . وان تزحف بعض قطعات الجيش الاردني من جسر دامية وجسر الشيخ حسين على النهر نفسه باتجاه جنوب بيسان فشمال جنين الى العفولة ...، والبعض الآخر صوب باب الواد عن طريق رام الله ، وكان على هذه الجيوش عند التقائها بالعفولة ان تزحف نحو الساحل ، فتحتل منطقتي الخضيرة وناثانيا اليهوديتين . وبذلك تشطر اليهود الى شطرين : شطر في الشمال (حيفا وصفد وطبريا وبيسان) وشطر في الجنوب (تل ابيب وملبس وديران) . وكان على الجيش المصري ان يجتاز الحدود الفلسطينية عند رفح والعوجا ثم يزحف باستقامة غزة ومجدل عسقلان . وبهذا يشطر اليهود هناك الى شطرين : شطر تقدم ذكره عند ديران والمستعمرات المجاورة لها ، وشطر في اقصى الجنوب عند القطاع المسمى بالنقب، وكان على المتطوعين المصريين ان يصلوا عن طريق الخليل وبيت لحم ، الى القدس ، فيطوقوها من ناحيتها القبلية بينما يطوقها الاردنيون من ناحيتها الشمالية والشرقية . واما القدس نفسها فقد اتفق على تجنيبها ويلات القتال ، على ان يظل مرابطاً فيها حماة الديار من ابنائها .

تلك هي الخطة (١) التي رسمها رؤساء اركان حرب الجيوش العربية في الاجتماع الذي قلنا انهم عقدوه في الزرقاء . وقد اسندت القيادة العليا يومئذ الي جلالة الملك عبد الله وكان ذلك بطلب منه واصرار من وزارة الخارجية البريطانية ، والطلب محفوظ في ملفات ، الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالقاهرة ، وعين الجنرال العراقي نور الدين محمود قائداً عاماً تابعاً للملك عبد الله .

ويظهران الشق الاول من هذه الخطة (وهو المتعلق بالقتال) لم يرق في عين الفريق (٢) غلوب باشا John Bagot Glubb , C.M.G. , D.S.O. , O.B.E. ,M.C. فاستبد له ،

---

(١) قال Jon Kimsche في الصفحة ٢٣٨ في كتابه Seven Fallen Pillars ان ضابطاً بريطانياً كبيراً من ضباط الجنرال Mecmillan كان مطلعا على هذه الخطة وانه اوضحها لرجال مكتب الاستخبار البريطاني بحيفا في ٦ ايار ، اي قبل بدء الغزو بتسعة ايام . وكانت (اي الخطة) تقضي بان يتصل المصريون بالجيش العربي في قطاع الخليل – بيت لحم فيهاجم الجيشان معا ، الاردني والمصري ، الاحياء الجديدة من مدينة القدس . تلك الاحياء التي كان معظمها بيد اليهود . ولكن الفريقين عادا فاختلفا . ولم يسمح للمصريين بالزحف صوب القدس .

(٢) أقرأ نبذة من تاريخ حياته في الملحق قبل الاخير من ملاحق هذا الكتاب .

بوصفه رئيساً لاركان حرب الجيش العربي ، بشق اخر ، وما كان لاحد ان يعترضه اذ كان يصدر اوامره باسم القائد الاعلى ، الملك عبد الله .

ولقد تم هذا الاستبدال قبل الميعاد المقرر للزحف بثمان واربعين ساعة . فدخل الجيش السوري الحدود من ناحية تقع الى الجنوب من بحيرة طبريا ، واحتل سمخ .

وعبر الجيش المصري الحدود عند رفح ، وراح يزحف نحو الشمال الى ان وقف عند اسدود ، وكانت كتائب المتطوعين المصريين والسودانيين والليبيين قد سبقته عن طريق بئر السبع الى قطاع الخليل وجنوب القدس .

وعبر الجيش العراقي الحدود عند جسر المجامع فاحتل مشروع روتنبرغ وراح يحاصر كيشر ، وكانت هذه محمية بخط منيع هو الذي كان البريطانيون يسمونه بـ (خط ايدن)

وزحف الجيش العربي الاردني على ذراعين :

ذراع اجتاز جسر اللنبي ، وراح يتأهب للزحف صوب القدس ، وذراع اجتاز جسر دامية باتجاه نابلس وهنا انشطر الى شطرين : شطر بقي مرابطا في ذلك القطاع وآخر أم باب الواد عن طريق رام الله .

واما الجيش اللبناني فقد بقي مرابطا عند الحدود ، متخذاً لنفسه خط الدفاع .

ويحدثك الخبراء في الشؤون العسكرية احاديث مختلفة عن الاسباب التي ادت الى تغيير الخطة الاصلية والنتائج السيئة التي ادى اليها ذلك التغيير ، وكاد القوم يجيبون على ان هذا التغيير كان مقصوداً ، وان الذي اقترحه (غلوب باشا) كان يرمي الى زج الجيوش العربية في مآزق لا قبل لها بها ، من ذلك ما قاله الزعيم منير ابو فاضل من ان غلوب هذا كان يرمي الى كشف الجناح الايسر للجيش السوري (١) .

وقال لي شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية انه عندما اجتمع بالملك عبد الله في درعا ، وكان ذلك في ١٩ ايار ١٩٤٨ ، وحضر الاجتماع كل من رياض الصلح وجميل مردم وعبد الرحمن عزام وسعد الدين صبور ، تساءل عن الاسباب التي ادت الى تغيير الخطة ، فقال له الملك (سأحتل القدس غداً ، وتل ابيب بعد اسبوع) واكد قوله هذا بشهادة سعد الدين صبور ضابط الارتباط المصري الذي اكد للقوتلي ان لدى الجيش العربي عتاداً لا ينضب ، وانه يملك ما يقرب من ٢٦٠ مدرعة ،

ومهما كان الامر ، فقد تلقى عرب فلسطين عامة ، وسكان بيت المقدس خاصة ، أنباء زحف الجيوش العربية بالرضا والاغتباط . وباتوا يرتقبون سقوط القدس ، وسقوط

---

(١) اقرأ العدد ٤٥٣٣ من جريدة (النهار) البيروتية بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٥٠

تل ابيب ، وخلاص البلاد من محنتها في وقت قريب ، وازدادوا سروراً واغتباطاً عندما جاءهم نبأ القرار الذي اصدره مجلس الجامعة في ١٢ نيسان ١٩٤٨ وقد جاء فيه : (ان دخول الجيوش العربية فلسطين لانقاذها يجب ان ينظر اليه كتدبير موقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال او التجزئة لفلسطين ، وانه بعد اتمام تحريرها تسلم الى اصحابها ليحكموها كما يريدون ، ومما زاد في اغتباطهم ايضا ان زحف الجيوش هـذا جاء في وقت اعلن اليهود فيه استقلالهم ، وراحوا يتحدون العرب ، وسادت في البـلاد انباء تقول ان بعض الدول العربية راغبة في القتال ، ومن ذلك مـا قيل عن مصر من انها لا تريد الحرب ، وان النقراشي ممثلها في مؤتمر بلودان قال لزملائه ان بلاده لا تملك من القوة ما يؤهلها لكسب الحرب .. وما قيل عن العاهل السعودي الملك عبد العزيز آل سعود من انه ابرق الى ممثله في ذلك المؤتمر يقول ان بلاده ليست على استعداد لخوض الحرب ، وانه ينصح الفلسطينيين ان يكونوا اكثر تعقلا ، وان يقبلوا الامر الواقع . . وكان قد ذاع ايضا ان الملك عبد الله كان راغباً عن الحرب ، وان بينه وبـين اليهود اتفاقا سابقا يقضي بان يقتسم هو واليهود البلاد ، فيأخذ كل منهما شطرا (١) . . هذه الانباء كانت قد انتشرت بسرعة البرق .

وعندما اجتاحت الجيوش العربية الحدود الفلسطينية تلاشت ، وحل محلها الاغتباط والرجاء ، وراح اليهود يرتعشون جزعا ؛ اذ كانت الدلائل كلهـا تشير الى ان العرب متحدون ، وانهم يسيرون وفق خطة عسكرية موحدة ، ولم يكن لديهـم (اي اليهود) يومئذ اكثر من ثمانية الاف مقاتل نظامي ، ليست لديهم مدافع ثقيلة ولم يكن لديهم من الاسلحة الخفيفة الا النذر اليسير (٢) ، لا ولا كانت لديهم مدافـع مضادة للطائرات ولا كانت لديهم طائرات تسبح في الجو ، فاجتمع عـلى اثر ذلك تسعة من كبار قادة الهاغانا في منزل بن غوريون بتل ابيب ، وراحوا يتشاورون ، ماذا يصنعون (٣) ؟ اذ كانت قواتهم موزعة في جميع انحاء فلسطين (٤) ، الامر الذي افقدها قوتها ، ولم يكن في

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا الاتفاق في ١٢ نيسان ١٩٤٨

(٢) هذا ما قاله دافيد بن غوريون رئيس وزراء اسرائيل بعد وقف القتال في المدينة .

(٣) هذا ما قاله اسرائيل جاليلي ، احد القواد التسعة المذكورين ، في ذلك الحين . وقد نشرت اقواله جريدة (بالستين بوست) في عددها الصادر بتاريخ ١٤ أيار ١٩٤٩ ، بمناسبة مرور سنة على دخول الجيوش العربية .

(٤) اكد لى الفريق كلوب باشا رئيس اركان حرب الجيش العربي الاردني ان عدد اليهود المسلحين والمدربين كان ، عند بدء القتال في شهر مايس ١٩٤٨ ، خمسة وستين الفاً . اقرا رسالته التي ارسلها الي بتاريخ ١٥ – ٢ – ١٩٥٥ رقم ق ٤٠ – ١ – ٦١٠

مقدورهم ان يجمعوها في اماكن معينة .

ولئن اشـــترى اليهود مـــن براغ ، عاصمـــة تشيكوسلوفاكيا ، طائرات من نوع Messerschmit ، الا انهم لم يستطيعوا جلبها الى اسرائيل عن طريـــق الجو ، اذ ان الحكومة اليونانية رفضت انتسمح لهذه الطائرات بالنزول في مطاراتها ، والتزودبالبنزين منها ، وقد اضطر اليهود ان يرسلوا هذه الطائرات شقفاً متناثرة ، وفي طائرات من نوع داكوتا ، وكانت العملية شاقة بدرجة ان هذه الطائرات وصلت متأخرة ، ولم تتمكن من الاشتراك في قتال ضد المصريين الا بعد شهر ، وكان يدير الطائرات اليهودية يومئذ رجال من قوة الطيران البريطاني القدماء .

البريطانيون يحتفظون بميناء حيفا اسبوعين آخرين

●

بعد ان انسحب المندوب السامي من القدس ، وانسحب معه سائر البريطانيين الذين كانوا فيها وفي غيرها من مدن فلسطين ، ابحر فريق كبير منهم عائدين الى بلادهم .وبقي فريق آخر في ميناء حيفا ، ريـــثما تتم عملية الجـــلاء ، ومكث هؤلاء في الميناء اسبوعين كاملين من ١٥ ايار الى ٣٠ ايار ١٩٤٨ ، فقد اصدرت وزارة الدفاع البريطانية في اليوم السادس من شهر نيسان ١٩٤٨ (رقم ١٧٦ ٨١٦) امراً اجازت فيه بقـــاء القوات البريطانية في ميناء حيفا مدة اسبوعين بعد انتهاء الانتداب (١٥ ايار ١٩٤٨) ، وعملا بهذا الامر اصدر اللفتنانت جنرال غوردن هولمس الكسندر ماكميلان G.H.A. Macmillan M.C., D.S.O., C.M.O. بوصفه القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين بيانا تاريخه ١٥ ايار ١٩٤٨ ورقمـــه ٧ ، وقد انتدب فيه قائدين من قواده لينوبا عنه في ادارة الميناء وادارة سكة حديد فلسطين ، ومنح كلا القائدين ، في هذا البيان ، السلطات اللازمة لان يعملا في الميناء والسكة الحديدية كما يشاءان . . . وان يصدرا من الاوامر والتعليمات ما يمكنهما من العمل بحرية وسهولة ... وان يفرضا ويجمعا من الضرائب والفوائد الجمركية والرسوم ما لا بد منه . . . وان ينفذا احكام القوانين والانظمة المتعلقة بالمرفأ والشؤون الجمركية ، والسكك الحديدية كلها او بعضها سواء في ذلك القوانين والانظمة القديمة او التي وضعت قبل انتهاء الانتداب ، كما يشاءان . . . وان يضعا يديهما ، ويحتفظان بما يشاءان من اموال منقولة وغير منقولة ، من اجل القيام بالمهام المتقدم ذكرها . . . وان ينتدبا من الموظفين واعضاء اللجان من يريدان لينوب عنهما في تنفيذ الاعمـــال

المتقدم ذكرها ، شريطة ان يحصلا مقدما على موافقة القائد العام من اجل هذا الانتداب وفرض البيان عقوبات صارمة على كل من يخـالف أمراً من الاوامر الـتي يصدرها القائدان ، قائد الميناء وقائد السكة الحديدية ، وهذه العقوبة عبارة عن السجن خمس سنوات او الغرامة (١) .

الجيش السوري قبل حرب فلسطين

تخلصت سوريا من الانتداب الافرنسي واستقلت عام ١٩٤٥ ، ولقد تكون الجيش السوري كجيش مستقل في ١ آب ١٩٤٥ ، أي قبل جلاء الافرنسيين عن البلاد بثمانية شهور (٢) وعندما جلا هؤلاء عن البلاد اقترح البريطانيون على السوريين (٣) ان تكون قواتهم مؤلفة من عشرة آلاف رجل يقومون بالاعمال التالية : —

العـــدد	
٦٥٠٠	درك وشرطة للامن الداخلي
١٥٠٠	حرس حدود وبادية
٢٠٠٠	احتياط

ولكن القائمين على الامر في سوريا لم يكترثوا يومئذ للامر كثيراً ، فقد كـان لهم من مشاكلهم الداخلية ما يعيقهم عن التفكير في شؤون الجيش . لا بل ان اكثرهم كانوا يميلون للاعتقاد بانه ليس ثمة لزوم لتأسيس جيش قوي في البلاد . لان سوريا محاطـة بدول صديقة وشعوب عربية لا تضمر لها الشر. وبامكانهاان تعيش في امان من طوارىء الحدثان كما هي الحال في سويسرا. واذا كان لا بد من وجود قوة تحفظ الامن في الداخل فلتكن هذه على غرار الشرطة أو الدرك في البلاد الاخرى .

حتى القلة من السوريين الذين قالوا يومئذ بتقوية الجيش فمـا كانوا يحسبون للعدو الخارجي حسابا بمقدار ما كانوا يحسبون للملك عبد الله ملك الاردن المجاور لهـم وهو

(١) بعد هذا أقرا ما كتبناه عن الطائرات المصرية التي اسقطتها المدافع البريطانية المقاومة للطائرات تلك المدافع التي بقيت في منطقه ميناء حيفا : ولقد تم ذلك (اى حادث اسقاط الطائرات المصرية) في ٢٢ ايار ١٩٤٨ .

(٢) جلا الافرنسيون عن سوريا في ١٧ نيسان ١٩٤٦

(٣) تذكران البريطانيين وقفوا الى جانب السوريين في حربهم الاخيرة ضد الفرنسيين .

منهم وفيهم ، وكانت اسلحة الجيش السوري يومئذ (١٩٤٥) عبارة عن (١) : ـ

العـــدد	
٨٨٨٦	بندقية
٤٦٦	رشاشة (عيار ٥ و ٧)
٢٣٠	رشاش (عيار ٨)
١٦	مدفع ميدان (عيار ٧٥ ملم)
١٤	مدفع هاون (عيار ٣ بوصات)
١١	دبابة صغيرة
٣٢	مصفحة خفيفة

واشترى الجيش بعد ذلك مئتي رشيش افرنسي من غير عتاد . وكانت هذه الاسلحة فرنسية وبالية . وكان الجيش تحت رحمة الافرنسيين من حيث الذخيرة وقطع الغيار . ولم تكن الاعوام الثلاثة الـــتي انقضت بين ذلك التاريخ (اي التاريخ الذي تكون فيه الجيش) والتاريخ الذي دخل فيه فلسطين (١٩٤٥-١٩٤٨) كافية لتقويته وتجديـــد اسلحته . وكانت هناك عوامل داخلية جعلت الجيش يسير في غير الاتجاه الذي يرضاه له المخلصون . فقد اطلعت عـــلى تقرير رفعه رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه الى وزارة الدفاع في ٢٥ ايار ١٩٤٦ رقم ٢٨٠ - س ـ ٣ اقترح فيه تقوية الجيش السوري وتزويده بالاسلحة الحديثة والاعتدة الكافية . فالاسلحة التي يملكها الجيش في الوقت الحاضر فرنسية وقديمـــة ، والذخيرة لا تكفي لاكثر من ساعة واحـــدة في القتال . والسيارات ووسائل النقل تكاد ، من حيث الكم والكيف ، لا تذكر ، وليس ثمة عدد كاف من الضباط يركن اليهم .

وجـــاء في التقرير نفسه (٢٥-٥ ٤٦ رقم ٢٨٠-س-٣ انه من الضروري جعـــل الجيوش العربية متقاربة في قواتها وانظمتها ، هذا اذا لم يكن في الامكـــان توحيدها ، واقترح ان تؤلف اركان حربية مختلطة من جيوش الدول العربية ووضعها تحت اشراف الجامعة العربية . وان تشيد مصانع لتموين هذه الجيوش بانواع موحـــدة من الاسلحة بحيث تستغني البلاد العربية عن مصانع الدول الاجنبية .

ولكن هذا التقرير ظل على ما يظهر حبرا عـــلى ورق . وظلت فكرة حياد سوريا مسيطرة على عقول القائمين على الامر الى ان ادلهم الجو في فلسطين ، وراحت السحب

(١) اطلعت على هذه الارقام في تقرير لرئاسة الاركان تاريخه ٢٥-١٠-١٩٤٥ رقم ١٦-٣

تنذر بنشوب الحرب فيها بين العرب واليهود . الامر الذي حدا بقادة الجيش الى التفكير جدياً في الوسائل المؤدية الى تقوية جيشهم ، فقد اطلعت على تقرير لرئيس اركان الجيش السوري تاريخه ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ ورقمه ٨٨٢٤ ـ٤ـ س طلب فيه شراء مقادير من الاسلحة والالبسة والذخائر تكفي لتجهيز عشرة آلاف جندي ، والعمل على اعداد ما يكفي من تلك الاسلحة والمعدات لتجهيز عدد مماثل من الجنود على سبيل الاحتياط لعام ١٩٤٨ . ولكن يبدو ان ذلك التقرير لم ينل في بادىء الامر التقدير الذي يستحقه . فانا ما رأينا ولا سمعنا ان تدبيراً جدياً قد اتخذ من اجل تقوية الجيش وتدريب رجاله وتزويده بالسلاج ، ليس هذا فحسب ، فان الجنود الذين كانوا يؤلفون نواة الجيش ، راحوا يستخدمون في فتح الطرق (؟) ومكافحة الجراد (؟) وما الى ذلك من الاشغال التي تعيق الجنود عن اعمالهم العسكرية ، فقد اطلعت على تقرير رفعه رئيس الاركان الى وزارة الدفاع بعد تقريره الاول بشهر (٧ كانون الاول ١٩٤٧) وقد اشار فيه الى تلك العادة السيئة التي كانت متبعة في ذلك الحين من حيث تشغيل الجنود في الاعمال المدنية التي لا تمت لشؤون الدفاع بصلة ، وقد طلب الحد من استخدام الجيش في هذه الامور وزعم ان الحكومة اقرت هذا المبدأ وحدت من استخدام الجنود في الاعمال المدنية ، الا ان عدداً كبيراً من هولاء الجنود ظلوا يعملون في مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة :

يدلنا على هذا، الكشف التالي الذي عثرنا عليه في سجلات وزارة الدفاع . وقد جاء فيه ان قوة الجيش السوري كانت في اواخر عام ١٩٤٧ عبارة عن ٨٤٦١ رجلا موزعين كما يلي :

العدد	
١٠٦٦	في مصالح الحكومة ودواوينها المختلفة
١٥٠٠	في حراسة الحدود .
٣٩٥	في الكلية العسكرية بحمص .
٥٥٠٠	في القطعات المحاربة (يدخل في هذا العدد سلاح الطيران ومستخدموه وهم عبارة عن اربعمئة رجل) .
٨٤٦١	

اضف الى ذلك ان عدداً كبيراً من هؤلاء الرجال القادرين على القتال الحقوا بجيش الانقاذ ، فقد اكد لي الزعيم عبد الله عطفه ، رئيس الاركان ان الجيش السوري زود جيش الانقاذ بستة واربعين ضابطاً من ضباطه وما ينوف عن الاربعمئة جندي ونقيب وبألفي بندقية وبمقادير كبيرة من الاعتدة والاسلحة الاخرى .

وعلى ذكر الاسلحة نقـــول ، والشيء بالشيء يذكر ، ان اسلحة الجيش السوري كانت الى ذلك الحين ، قليلة ، ومعظم هذا القليل كان افرنسياً فاسداً ، ولقد ذهبت معظم الجهود التي بذلها القائمون على الامر من اجل اصلاح هذا الوضع وشراء الاسلحة الصالحة للقتال ، سدى ، ولهذا الفشل اسباب عديدة ، بعضها داخلي والبعض الاخر خارجي . فقد اطلعت على رسالة بعثت بها وزارة الخارجية السورية الى وزارة الدفاع بتاريخ ١٤/١/٤٧ رقم ١١/٢٣٢/٤٤ جاء فيها : ان شركة افرنسية عرضت ان تبيع الحكومة السورية بواسطة وزارة التسليح الفرنسية اعتدة عسكرية من نماذج مختلفة ، وان الامر صدر من فرنسا الى الملحق العسكري في بيروت كي يتصل بالحكومـــة السورية ويعرض عليها الامر ، وتألفت لجنة من الضباط برئاسة المقدم رسمي القدسي كي تقوم بهذه المهمة وتبتاع الذخيرة اللازمة ، ولا يدري احد الى الآن لماذا كتب وزير الدفاع في ذيل المخابرات الرسمية التي تبودلت في هذا الموضوع يقول : (لا حاجة الى الذخيرة الافرنسية الآن) تاريخ هذا الشرح ١٩ / ١ / ١٩٤٧ ورقمه ٧٥ / س . وكان يتولى وزارة الدفاع يومئذ احمد الشرباتي .

وفي اوائل عام ١٩٤٨ انتدب اربعة من كبار ضباط في الجيش السوري (فوزي سلو ، عزيز عبد الكريم ، جمال فيصل ، فؤاد مردم) لشراء الاسلحة ، فسافر هؤلاء الى اوروبا وعبثاً حاولوا ان يشتروا ما يشاؤون ، اذ كان الحظر قد فرض على بيع الاسلحة مـــن مجلس الامن ، وكان اليهود قد بذلوا كل ما في وسعهم من جهد لئلا يتمكن السوريون من الحصول على ما يبتغون ، والصفقة الوحيدة التي نجحوا في شرائها من تشيكوسلوفاكيا وقعت نتيجة تهاون احد الضباط الاربعة المتقـــدم ذكرهم ، ألا وهو فـــؤاد مردم ، بيد اليهود .

حدثني احمد الشراباتي الذي كان وزيراً للدفاع في ذلك الحين . ان قضية الاسلحة هذه بولغ في بحثها ، وان الحقيقة تتلخص فيما يلي : ـ

المال الذي استعمل لدفع ثمن الاسلحة مال الجامعة العربية ، والاتفاق قد تم عـــلى يد الحكومة السورية باسم الجامعة ، والشركة التي تعهدت بيع الاسلحة هي شركـــة (سكودا) التشيكوسلوفاكية بوساطة وكلائها بدمشق ، والاسلحة التي تم الاتفاق عـــلى تسليمها عبارة عن عشرة آلاف بندقية وبضعة ملايين مـــن الطلقات ، والضباط الذين انتدبوا لتسلم الاسلحة هم فوزي سلو وعزيز عبد الكريم وجمال فيصل وفـــؤاد مردم . وان هؤلاء لم يقترفوا خيانة ، وان كانوا في الحقيقـــة اخطأوا ؛ اذ ابطأوا في تسلم الاسلحة وشحنها : هذه البندقية طويلة ! ..وتلك قصيرة !.. وهذه غير موافقة للشروط!

فقد استغرقت هذة العملية وقتاً طويلا. لا بل انه اطول من اللازم . من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم الى ان اعلنت الهدنة الاولى !

وأخيراً ارسل السلاح عبر نهر الدانوب وبحر الادرياتيك ، في باخرة تسمى (لونا) وعندما وصلت هذه الى نقطة قريبة من الساحل الجنوبي لايطاليا ضربتها بارجة حربية قيل انها بريطانية فشطرتها شطرين ، وما كادت تصل الى الشواطيء حتى غرقت .

ارسل فؤاد مردم الى مكان الغرق ليعمل على انقاذ الاسلحة ، فانقذها ، وكانت الاسلحة قد اصابها عطب بنسبة ٢٠ ٪

بعد انقاذ الاسلحة شحنها فؤاد مردم في مركب شراعي كبير الى مرفأ اللاذقية . وسافر هو الى الاسكندرية ، وهنا ضاع اثرها ، فلم يعلم احد ماذا اصابها ؟ هل اخذها اليهود ؟ ام غرقت مرة اخرى في البحر ؟ ام ماذا ؟ المهم في الامر انها لم تصل الى سوريا ... »

هذا ما قاله لي وزير الدفاع السوري وقد اتصل بي ان فؤاد مردم حوكم من لدن محكمة سورية . غير انني لا ادري ماذا كان قرار المحكمة ، والرأي السائد في سوريا ان في الامر اهمالا ، وليس فيه خيانة والله اعلم بالصواب .

وهكذا فشل السوريون في الحصول على الاسلحة التي كانوا في اشد الحاجة اليها . ولم يكن لدى الجيش السوري ، عندما أُمر باجتياز الحدود ، من العتاد والذخيرة ما يكفي لاكثر من اسبوع واحد .

ولقد اصدر الشراباتي نفسه ، بوصفه وزيراً للدفاع ، امره بوقف التطوع حتى اشعار آخر ، وبتسريح العسكريين الذين قضوا في خدمة الجيش خمسة عشر عاما او يزيد واحالتهم على التقاعد (١). والغريب في هذا الامر انه صدر في وقت كانت السحب فيه تتجمع في الافق وجميع الادلة تشير الى اقتراب العاصفة . فان الكتاب الذي يحمل في طياتة هذا الامر والذي اطلعت عليه في اضبارات رئاسة الاركان مؤرخ في ٢٥ آذار ١٩٤٨ (اى قبل زحف الجيش السوري باربعين يوما) واما رقمة فهو ٤٩٩ — س .

ان الحقائق المتقدم ذكرها ... قلة الرجال وقلة السلاح - هي التي جعلت رئيس الاركان الزعيم عطفه يقترح على ولاة الامور ان لا يزجوا بالجيش في قتال كجيش نظامي بل يأمروا بدخول افراده المعركة كمتطوعين ، على ان يزودوا بجميع الوسائل والامكانيات التي تملكها الحكومة من اسلحة ومعدات .

(١) اكدلي السيد مجد الدين الجابري ، نائب حلب في مجلس النواب السوري ان الشراباتي ، عندما اصدر امره هذا ، كان يرمي الى التخلص من العناصر الغريبة التي لاتمت الى العروبة بصلة كالاكراد والاتراك ، والدروز ، وما الى ذلك .

ولكن اقتراحه هذا رفض ، اذ قررت الحكومة السورية ان يدخل الجيش السوري معركة فلسطين كجيش نظامي ، وان يجتاز الحدود في ١٥ أيار ١٩٤٨ .

هذا القرار صدر في اوائل شهر أيار، وكان الجيش السوري يومئذ مؤلفاً من ثلاثه الوية(١):

اللواء الاول : يقوده العقيد عبد الوهاب الحكيم

اللواء الثاني : يقوده العقيد محمد جميل البرهاني

اللواء الثالث : يقوده العقيد حسني الزعيم (وبعد قليل انتدب هذا مديراً عاماً للشرطة(٢) فحل محله ضابط آخر برتبة مقدم) .

اما اللواء الاول فقد كان اقوى هذه الالوية . وهو الذي خاض معركة سمخ .

واما اللواء الثاني فانه بعد ان كان معسكراً في حلب امر بالمرابطة على الحدود الجنوبية بين سوريا وفلسطين ، من بانياس الى سمخ .

وأما اللواء الثالث فقد كان في دير الزور والجزيرة ؛ وقد استعانوا بافراده وضباطه لتقوية اللوائين الاول والثاني .

هذا من حيث التنظم والتشكيل ، وأما من حيث العدد فقد كانت القوات السورية قبل بدء القتال (١٩٤٨) عبارة عن ثمانية آلاف رجل موزعين كما يلي :

العدد	
٢٠٠٠	لواء أُمر بدخول المعركة فوراً .
٢٠٠٠	لواء أُعد للقتال في فلسطين عند اللزوم.
٥٠٠	سوريون تطوعوا للقتال في جيش الانقاذ.
٣٥٠٠	سوريون أُمروا بالمرابطة على الحدود والقيام بالخدمات الحكومية في مصالح الدولة ودواوينها المختلفة (ادارة وصحة واشغال وما الى ذلك)
٨٠٠٠	

ولم تكن الالوية المتقدم ذكرها لتؤلف وحدة عسكرية منظمة كما هي الحال في الجيوش الاخرى ، بل كان كل واحد منها مرتبطاً برئاسة الاركان في دمشق ، وكثيراً ما كانت تتلقى اوامرها من وزارة الدفاع رأساً دون ان يكون لرئاسة الاركان علم بذلك ؛

والاهم من هذا وذاك هو العتاد ، فقد حدثني اللواء المتقاعد عبد الله عطفه الذى كان عند بدء القتال رئيساً للاركان انه لم يكن لدي الجيش السوري عندما أُمر باجتياز

(١) اللواء مؤلف من فوجين مشاة ، وفوج مدرعات ، وفوج مدفعية .

(٢) انه هو الذي دبر الانقلاب السوري الاول ، وتولى رئاسة الجمهورية السورية بمدخلع شكري القوتلي واخراجه من سوريا . وكان ذلك في ٢٩ آذار ١٩٤٩

الحدود ، من العتاد والذخيرة ما يكفي لاكثر من اسبوع واحد ، وهذا ما حدا به لان يقترح على ولاة الامور اقتراحه الذي ذكرناه في الاسطر المتقدمة .

هذا ما عرفته عن الجيش السوري قبل ان يدخل معركة فلسطين ، وفي الفصل الثاني سأحدثك ايها القارىء الكريم عما فعله هذا الجيش بعد ان اجتاز الحدود ودخل المعركة والى ان يحين الوقت لهذا ارى من الفائدة ان اقص عليك فيما يلي نبذة عن تاريخ حياة رجل كان عند اعلان الحرب الفلسطينية يحمل اكبر رتبة عسكرية ويحتل ارفع مقام في الجيش الا وهو رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه ، انه عبد الله بن محمد علي عطفه.

ولد في دمشق سنة ١٨٩٧ ، ولما اتم دراسته الابتدائية فيهـــا ، ارسله ابوه الى استانبول فتخرج من مدرستها الحربية (١٩١٥) . وفي الحرب الكونية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) اشترك في جبهة فلسطين . ثم التحق في عهد الملك فيصل (١٩٢٠) بالجيش العربي السوري فحارب في الرياق وفي ميسلون ، ولما احتل الجيش الفرنسي سوريا التحق بقعطاته الخاصة (١٩٢١) . وراح يتدرج في مراقي الرتب العسكرية حتى وصل الى رتبة كولونيل (زعيم) وأرسله الافرنسيون الى باريس حيث درس في مدرسة الاركان العليا ١٩٣٦ – ١٩٣٨ ونال منها شهادة ركن ، ثم عاد الى سوريا حيث تولى قيادة مختلف القطعات واعمـــال الاركان .

وفي الحرب الكونية الثانية عين قائداً لقوات الدفاع عن الشواطىء السورية ١٩٤٣.

وبعد حوادث ايار عام ١٩٤٥ عين قائداً عاماً للدرك السوري ثم رئيسا لاركـــان حرب الجيش السوري (١ آب ١٩٤٥) .

وعندما نشبت حرب فلسطين (١٥ / ٥ / ٤٨) كان رئيسا للاركان ، ولكنه احيـــل الى التقاعد بعد ذلك بستة ايام (٢١ ايار) ولما وقـــع الانقلاب السوري الاول وتولى الحكم حسني الزعيم ، وكان ذلك في ٢٩ آذار ١٩٤٩ ، اعيـــد الى الجيش (في ١٥ نيسان) ورفع الى رتبة لواء (جنرال) وبعد شهرين تولى وزارة الدفاع ٢٥ حزيران ١٩٤٩ وعلى عهده وقع الانقلاب الثاني وتولى الحكم سامي الحناوي وظـــل يتصرف بشؤون الوزارة حتى ٢٣ كانون الاول ١٩٤٩ وفي ذلك التاريخ احيـــل الى التقاعـــد. يحمل اوسمة عديـــدة نذكر منها :

وسام الحرب من الاتراك العثمانيين ، وسام صليب الحرب من الالمان ، وسام الحرب من الفرنسيين . وسام الاستحقاق السوري (من الدرجة الممتازة) . وسام الاخلاص السوري . وسام الحرب السوري (من الدرجة الممتازة) . وسام الاستحقاق اللبناني . وسام الارز اللبناني . الوشاح الاكبر من نيشان النيل المصري .

الجيش السوري يجتاز الحدود الفلسطينية

في ١٣ أيار ١٩٤٨ راح الجيش السوري يزحف نحو (سمخ) . وقبل ان تغيب شمس اليوم التالي ١٤ ايار كان قد اقترب منها ، وحط رحله على المرتفعات المطلة عليها وعلى (الحمة) وفي ١٥ ايار اجتاز الحدود .

الامر بزحف الجيش السوري اصدرته القيادة العامة في عمان ، اصدرته عن طريق رئاسة الاركان في الشام وكان ذلك في ١٥ ايار . وهذه احالته في اليوم نفسه (١٥/٥/٤٨ رقم ١٠٢٩ / ٣) الى قيادة اللواء الاول الذي كان يرابط في قطاع الحمة ، فاجتاز اللواء المذكور من فوره الحدود .

وبعد الظهر دخل مع اليهود في قتال عنيف . واستمر القتال حتى اليوم الثامن عشر ، وفي ذلك اليوم احتل سمخ . وباحتلالها سقطت في يده مستعمرتا (مشمار هاغولان) و (مسعدة) ولكنه (اي الجيش السوري) فشل في محاولاته التي قام بها في ٢١ ايار لاحتلال (دجانيا) والمستعمرات اليهودية الاخرى، ولهذا الفشل اسباب نذكرها فيما يلي:

عندما صدر قرار التقسيم ونشب القتال في فلسطين (١٩٤٧) لم يكن الجيش السوري على استعداد لخوض غمار الحرب ، هذا رغم ما كان المؤتمرون من رجال الحكم في البلاد العربية قد قرروه في بلودان ١٩٤٦ من ان الحرب لا محالة قادمة ، وان على الجيوش العربية ان تتأهب لنجدة فلسطين ، فقد احتفظ رجال السياسة في سوريا بذلك القرار السري ، ولم يذكروا شيئاً عنه لرجال الجيش وقادته ، حتى ان معظم هؤلاء القادة ما كانوا يعلمون انهم سيدعون للقتال ، وما علموا بهذا الا في اواخر شهر نيسان ١٩٤٨ وقبل بدء القتال ببضعة ايام ، ولما صدر الامر اليهم بالزحف لم يكونوا على استعداد لمواجهة الوضع .

واليك ما قاله لي العقيد عبد الوهاب بك الحكيم (١) الذي قاد الجيش السوري في

---

(١) ولد بدمشق عام ١٩٠١ م . واتم دراسته الاولية في مدارسها . ثم سافر الى الاستانة . حيث تخرج من مدارسها العسكرية عام ١٩١٦ . اشترك في معارك سيناء أثناء الحرب الكونية الاولى (١٩١٤) واسره الانكليز في معركة تل رفح . ثم التحق بالثورة العربية التي اوقد نارها المغفور له الملك حسين ، وكان مع الامير فيصل عندما دخل هذا دمشق وانخرط في الجيش وظل يعمل فيه اثناء الاحتلال الافرنسي . ودخل مدرسة الاركان الافرنسية بباريس (١٩٣٨) فسمي ركنا (١٩٣٩). وقبل جلاء الافرنسيين عن الشام فر من القطعات الافرنسية والتحق بالقطعات الوطنية ١٩٤٥ .وصار رئيسا للاركان الثاني في الجيش السوري . وتقلب في الرتب حتى اصبح عقيدا . وشغل عددا كبيرا من المناصب في الجيش . فقد كان قائدا لقوات البادية ، وقائدا للواء الاول ولحامية دمشق ، ومديرا للتجنيد العام ، ومديرا للكلية العسكرية، وملحقا عسكريا في انقرة . وعهد اليه بقيادة الرتل السوري الذي اجتاز حدود فلسطين .

معارك سمخ ودجانيا في هذا الصدد ، قال :

« كنت عند صدور قرار التقسيم ، قائداً لحامية دمشق ، وكان ولاة الامور قد عهدوا الي بقيادة اللواء الاول المرابط فيها ، وما كنت اعلم انني ساكلف بالزحف نحو فلسطين ، وما علمت بذلك الا في اليوم الواحد والعشرين من شهر نيسان ، اي قبل المعركة التي خضتها بثلاثة اسابيع ، اذ جاءني يومئذ وزير الدفاع (١) واخبرني ان الحرب قادمة ، وان علي ان اهيء لوائي ، وان اكون على استعداد لدخول فلسطين في التاريخ الذي سيحدد لي فيما بعد .

فرحت اعد للامر عدته . وكان لوائي المؤلف من الفي رجل (٢) مبعثراً هنا وهناك ولم يكن مسلحا تسليحاً كاملا ، لا ، ولا كان مجهزاً تجهيزا كافيا : فوجان (٣) من المشاة وفوج من المدرعات . وآخر من المدافع . ولم تكن هذه الافواج مدربة تدريباً كافياً . بل كانت في حاجة للتدريب، مدة لاتقل عن ثلاثة شهور لتصبح صالحة للقتال. ولكن الامر صدر بوجوب تدريبها وتهيئتها للقتال في بحر اسبوعين . فانصعت للامر . وتمكنت من حشد اللواء كله في (قطنا) . وكان ذلك في اليوم الاول من شهر ايار .

ولقد اتصلت في اليوم نفسه وبناء على الامر الذي تلقيته من وزير الدفاع ، باسماعيل صفوت باشا قائد قوات تحرير فلسطين فامرني هذا ان ادخل فلسطين في تمام الساعة الواحدة من اليوم الخامس عشر من شهر ايار ١٩٤٨ . ونص الامر الخطي الذي تلقيته في هذا الصدد على ان ادخلها من ناحية بنت جبيل وصفد.

فرحنا انا وزملائي الضباط ، نتدارس الموقف ونرسم الخطط فقد كان لدينا يومئذ اثنا عشر مدفعاً من عيار ٧٥ ومدفعان من عيار ١٠٥ واربعة مدافع هاون من عيار ٧١ ميلمتراً وستة من عيار ٦٠ ملميتراً . واما من المدرعات فقد كان لدينا ثلاث سرايا (٤) وهي انكليزية من النوع المعروف ب (مورمون) وسرية (٥) دبابات افرنسية من النوع

---

(١) احمد الشراباتي : خريج مدرسة للطيران في الولايات المتحدة وكان قبل الحرب الفلسطينية يشتغل بالتجارة .

(٢) واما الجيش السوري في البلاد كلها فقد كان عبارة عن ثلاثة الوية مجموع رجالها سبعة الاف مقاتل .

(٣) الفوج مؤلف من ٤٠٠ مقاتل .

(٤) السرية عبارة عن اثني عشرة مدرعة

(٥) السرية عبارة عن عشر دبابات

المعروف بـ (رينو)وهي من مخلفات الجيش الافرنسي . وكذلك قل عن بنادق المشاةوعن جميع الاسلحة الاخرى فانها افرنسية وكان معنا اثنا عشر رشاشاً كبيراً وسبعة وعشرون رشاشا صغيراً .

ولقد امرت بارسال هذه المدافع والمدرعات والدبابات الى حيث اريد . بعضهـا ارسلته عن طريق بيروت ، والبعض الآخر عن طريق مرجعيون . على ان يتم تمركزها في المواضع التي عينتها لها قبل وصول المشاة . وقد تم ذلك في ١٢ ايار (١) . وفي صباح اليوم التالي (اي في ١٣ ايار) اخبرني وزير الدفاع ان الخطة قد تغيرت ، وان على الجيش السوري ان يدخل فلسطين عن طريق سمخ ، وان الامر بهذا التغيير قد اتى من عمان (٢) وهو يقضي باحتلال سمخ والمستعمرات المجاورة لها .

فانصعت للامر ، رغم الصعاب التي تكتنف الخطة الجديدة . اذ كانت القطعـات الالية الثقيلة قد وصلت الى مراكزها. فوقفت على مقربة من الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية ولم يكن من السهل ارجاعها عن طريق دمشق بـل ارجعناها عن طريق مرجعيون الى الحمة فسمخ . ولم يبق بيننا وبين الميعاد المحدد لاجتياز الحدود (١٥ ايار) سوى يومين اضف الى ذلك ان القطاع الجديد الذي امرنا بالزحف نحوه الا وهو قطاع سمخ ، كان مجهولا لدينا. ولم يكن لدى المكتب الثاني للاركان ، وهو المسؤول عن الاستخبارات اية معلومات عن ذلك القطاع ، وكان علينا ان نجتاز سهلا مكشوفاً للعدو المتخفي في التلال المقابلة وكان ذلك القطاع بعيداً عن مراكز التموين .

ومع ذلك فقد غادرنا انا والمشاة دمشق في ١٣ ايـار قاصدين سمخ ، وامرت في الوقت نفسه (اي في ١٣ ايار) القطعات الالية ان تلحق بنا عند (فيق) على مقربة من الحمة وما كادت شمس اليوم التالي (١٤ ايار) تغيب حتى كنا قد اقتربنا من الحمة وحططنا رحلنا على المرتفعات المطلة على سمخ . واما القطعات الالية فقد اتت عن طريق مرجعيون ـ المطلة ـ بانياس الى القنطرة ، ف (فيق) .وكان بامكان اليهود المرابطين في الحولة ان يروا هذه القطعات وهي تمر وان يحصروها بالواحدة . وصل معظمها في الساعة الثامنة

---

(١) اكد لي رئيس اركان الجيش السوري عبد الله عطفه ، أنه في هـذا اليوم (١٢ ايار) وفيه فقط علم ان الجيوش العربية قررت دخول فلسطين في ١٥ ايار . وفيه ايضاً علم بتأليف قيادة عامة في عمان . وفيه وصل الى دمشق اللواء الركن نور الدين محمود باشا العراقي الذي انتدب معاوناً للقائد العام الملك عبد الله . فاصدر (أي رئيس الاركان السورى) امره الى العقيد عبد الوهاب الحكيم كي يضع نفسه ولواءه تحت تصرف القيادة العامة .

(٢) كانت الدول العربية قد اتفقت فعهدت بالقيادة العامة الى الملك عبد الله .

من صباح اليوم الخامس عشر ، وبعضها (اربع دبابات) لم يصل بسبب عطل طرأ عليه وهكذا كان موقفنا في اليوم المحدد للهجوم: رتل قليل العدد.. ناقص الادوات.. ضعيف التدريب .. جاهل كل الجهل بطبيعة الاراضي التي سيخوض غمار الحرب فيها ، وبسكانها .. وعددهم .. واسلحتهم.. وتحصيناتهم .. يقابل ذلك عدد من المستعمرات اليهودية (مشمار هاغولان . مسعدة . دجانيا آ دجانيا ب) وكانت هذه محصنة ومسلحة تسليحاً كاملا . اضف الى ذلك ان اليهود كانوا عند بدء القتال قد احتلوا بعض المواضع العربية (السمره ،سمخ) وحصنوها . وكان بين الموضع الواحد من هذه المواضع والاخر وبين كل مستعمرة واخرى طريق مستورة عمقها ثلاثة امتار يستعملونها لحركاتهم ونقل قواتهم من مكان الى مكان دون ان نراهم .

اجتزنا الحدود الفلسطينية في الساعة الواحدة من صباح اليوم الخامس عشر من ايار ولم تكن القطعات الثقيلة قد وصلت بعد . وشرعنا فور اجتياز الحدود نناوش اليهود مستطلعين قواتهم واماكن تمركزهم . ولما وصلت القطعا ت الثقيلة وكان الوقت عصراً زحنا نقصف مواضعهم بمدافعنا . ولم يكن لدينا من العتاد اكثر من مئة قنبلة لكل مدفع ثقيل ، والفي طلقة لكل مدفع رشاش .

واستمرت المناوشات بيننا وبين اليهود اربعة ايام: من اليوم الخامس عشر حتى الثامن عشر من شهر ايار . في صباح ١٥ ايار احتل اللواء السوري المكان الذي كان البريطانيون يعسكرون فيه ويعرف بـ (الكمب) ثم احتل المحجر (الكرانتينا) .

وفي صباح ١٦ ايار اكتفى بعملية الاستكشاف فرأى انه لا يملك من القوة ما يكفي لاحتلال سمخ . اشترك في هذه المناوشات فوجان: يقود الفوج الاول منها الرئيس امير شلاش بن الامير رمضان شلاش من عشيرة بوسرايا بالجزيرة، والثاني يقوده الرئيس حسن غنام، وكل واحد من هذين الفوجين مؤلف من ثلاث سرايا والسرية مؤلفة من مئة وستين شخصاً فيكون مجموع الرجال الذين اشتركوا في المناوشات خلال الايام الاربعة المتقدم ذكرها ٩٦٠ رجلا ثمانمائة منهم مسلحون . والباقون غير مسلحين .

(هذا ما قاله العقيد عبد الوهاب الحكيم واما رئيس الاركان عبد الله عطفه فقد أكد لي ان الرتل السوري الذي اشترك في معركة سمخ كان قوامه ثلاثة آلاف جندي ، وكان معه بطارية (اربعة مدافع) من عيار ٧٥ ملم ومدفعان من عيار ١٠٥ ، وقال ان هذه المدافع استعارها الجيش السوري من لبنان) .

«وكان لنا اثنتا عشرة طائرةمن النوع الاميركي المعروف بـ(هاربرت) .وقامت هذه بخدمات ممتازة خلال تلكالفترة اذ كانت تدعم الرتلالسوري بقذائفها.وقد استعملت للقصف رغم انها ما كانت لتنفع في الحالات الاعتيادية ، الا للتدريب. انها وان كانت تربض في مطار دمشق فقد كان باستطاعتها ان تهب للعمل وتحلق في جو المعركة في بحر بضع دقائق

هذا ما قاله لي العقيد عبد الوهاب الحكيم .

واما رئيس الاركان الزعيم عبد الله عطفه فقد قال لي ما يلي :

ان مقاومة اليهود في ١٦ ايار كانت عنيفة بدرجة جعلت قائد اللواء الاول يبرق الى رؤسائه طالباً انجاده.وقد اطلعنيعلى برقية ارسلها هذا القائد اليه (ايالىرئيسالاركان) والي وزير الدفاع ، تاريخها في ١٧ ايار ورقمها ٦ ، يقولفيها :

« بلغت تلفياتنا اثناء عمليات ١٦ ايـــار خمسة قتلى وثلاثين جريحاً منهم ضابطان . لايمكن القيام بان هجوم قبل قدوم الجيش العراقي ليحمي جناحي الايسر.

واما اليهود فيقولون ان السوريين كانوا اقوى من اليهود عدةً وعدداً ، وانه لميكن لديهم سوى سلاح خفيف من البنادق والرشاشات والمدافع المضادة الخفيفة ؛ بينما كان لدى السوريين مدافع من عيار ٣٧ ملمتراً تحملها الدبابات السورية وبطاريات ميـــدان عبارة عن ٧٥ ملمتراً .

وهذا ما قاله لي رئيس الاركان ،اذ قال : ما كان لليهود في معركة سمخ ، عندبدئها، مصفحات ولا مدافع . وكان الجيشالسوري يومئذ متفوقاً من هذهالناحية . ولكن اوار المعركة ما كاد يحتدم حتى راحت النجدات تنهال على اليهود ففاجأوا السوريين باسلحة لم تكن لديهم من قبل . وكان منها مدافـــع من طراز هاون . وما كان اليهود لتمكنوا من ارسال هذه النجدات لو اسرع اللواء الاول في احتلال سمخ ، ولم يتأخر من احتلالها ستة ايام .

«ولكني بالرغم من ذلك ، لم استطع مهاجمة سمخ . اذ كنت فيحاجة لفوج ثالث . ولما اعطيت ما طلبت ، واتاني (في ١٨ ايار) فوج ثالث من المشاة ، وكان هذا مؤلفاً من اربعمئة مقاتل واربعة مدافع ، قمت بهجوم كاسح على سمخ . وكانت الساعة تدق الرابعة صباحاً ، وما كادت هذه تدق الثامنة حتى كان الرتل الذي اقوده قد احتل سمخ احتلها باقسامها الثلاث : المحطة ، وعمارة البوليس ، والمدينة نفسها . وبسقوط سمخ سقطت (في ٢٠ ـ ٥) مستعمرتا (مشمارهاغولان ومسعدة) . الواقعتين الى الشرق من نهر اليرموك ، فاحتلها الجيش . في اليوم التالي ١٩ ايار .

«ولم يفقد الجيش السوري في هذه المعركة سوى قتيل واحد وثلاثة عشر جريحاً . وأما قتلى اليهود فكانوا كثيرين ، جمعنا منهم ١١٣ جثة ، واسرنا عشرين يهودياً وغنمنا وحدة صحية كاملة ، وبعض البنادق والاعتدة والسيارات ، وعدداً كبيراً من المدافع المعروفة ب (بازوكا) .

ومن الانصاف أن اعترف ان الجيش العراقي الذي كان يرابط في جسر المجامع وعلى مسافة ميلين منا الى اليسار قد ساعدنا في هذه المعركة ، وان كان قد قصر في مساعدتنا عندماهاجمنا بعد ذلك بيومين المستعمرتين اليهودتين المعروفتين (دجانيا) (أ) ودجانيا (ب) كما سأذكر ذلك بعد قليل .

ولقد زارنا ، اثر سقوط سمخ في ٢٠ ايار رئيس الجمهورية شكري القوتلي . وكان يرافقه وزير الدفاع احمد الشراباتي والجنرال طه الهاشمي ، فشكرني ، ولكنه في في الوقت نفسه ، لامني ، لانني استعملت في الايام الاربعة المنصرمة اربعمئة وخمسين قنبلة من قنابل المدفعية ، قائلا انه يجب علي ان لا اسرف في استعمال القنابل التي بيدي وان اقسم هذه القنابل بحيث تكفيني لستة شهور ، اذ ان الحرب طويلة المدى وان معادنا لقليل ...

هذا ما حدثني به العقيد عبد الوهاب بك الحكيم ، الذي قاد الرتل السوري في معركة سمخ ، وقد حدثني ايضاً عن المعارك التي خاض غمارها من اجل الاستيلاء على مستعمرتي دجانيا (أ) ودجانيا (ب) . فقال :

قررت بعد احتلال سمخ ان اشن غارة على مستعمرتي دجانيا (أ) و(ب) ، وطلبت الى الجيش العراقي المرابط على يساري عند جسر المجامع ان يسندني بمدافعه وطائراته ، وكانت لديه مقادير كافية من المدافع الثقيلة والطائرات . وهو في هذا القطاع عبارة عن كتيبتين مؤلفتين من الف وخمسمئة مقاتل .

واصدرت امري بالهجوم في الساعة الرابعة من صباح اليوم الواحد والعشرين من شهر ايار . وفي الوقت المضروب بدأ الهجوم . ولكم كان استغرابي شديداً عندما رأيت ان الجيش العراقي لم يطلق طلقة واحدة لا من مدافعه ولا من طائراته ، ليسند المهاجمين لا ، ولا تقدم جندي واحدمن جنوده ليرى ما الذي وقع! ليس هذا فسحب . فانه اي الجيش العراقي ، انسحب والمعركة قائمة بيننا وبين اليهود، من مراكزه التي كان يحتلها في قطاع جسر المجامع ، انسحب منها ليلا ولم يخبرنا ، وبانسحابه هذا ترك جناحنا الايسر مكشوفا للعدو . وكان هذا قد اتى بعدد من مدافع الهاون ، والصواريخ ، واتته نجدة كبيرة من المشاة من فرق الصاعقة المعروفين بـ (البالماخ) فراح يضرب مواضعنا وامطرها

بوابل من النيران . فانسحبنا الى الوراء . الى المرتفعات المطلـــة على سمخ . وا خلينا في الوقت نفسه (اي في ٢١ــ ٥) سمخ ومستعمرتي مشمار هاغولان و مسعدة .

وأخبرت وزارة الدفاع بما وقع ، فاتاني المقدم محمود الهندي (١) يلومني لمهاجمتي دجانيا ، قائلا ان الاوامر قد صدرت لجميع الجيوش من عمان كي لا تقوم باية حركة عسكرية في ميادين القتال الى اشعار آخر (٢) .

وهكذا توقف الجيش عن القتال في جبهة سمخ وراح يحتشد في قطاع (جسر بنات يعقوب) .

وامرت بالعودة الى دمشق ، حيث عهد الي بمهمة بعيدة عن جبهة القتال .

وقامت بعدئذ ، في قطاع جسر بنات يعقوب معركة بين السوريين واليهود . وكان الجيش السوري قد تقوى بانضمام اللواء الثاني اليه وكان هـــذا قبل ذلك مرابطاً في حلب فاحتل مستعمرة (كعوش) اليهودية الواقعة على بعد ميل واحد ، من جسر بنات يعقوب والذي احتلها هو المقدم سامي الحناوي ، قائد اللواء الثاني وكان هذا يأتمر بأوامر رئيسه حسني الزعيم الذي تولى رياسة الاركان بعد عبد الله عطفه .

ويعزو بعض الخبراء العسكريين من الاردنيين فشل الجيش السوري في معركـــة دجانيا (أ) ودجانيا (ب) الى الاخطاء التي اقترفها قادته يومئذ ، وعن غير قصد ، مـــن الناحية الفنية ، فان (لائحة التوقيت) التي وضعوها لم تكن من التنظيم بحيث تضمن قصف المدافع وسير المدرعات وزحف المشاة في اوقاتها المضروبة .. ومـــا كان هناك اتصال متين بين القطعات المختلفة وكما ان المدفعية لم تقم بالمساندة في الوقت اللازم، فان ضابط المشاة الذي كان في الميدان فتح اللاسلكي وراح يطلب من رجال المدفعية ان يقصفوا مكاناً معيناً والتقط اليهود هذه الاشارة ، فراحوا يصدرون الامر ـ كأنهم سوريون ـ الى اولئك الرجال (اي المدفعين السوريين) ذا كرين اهدافاً اخرى ، وكانت هـــذه هي المواضع التي وصل اليها المشاة السوريون وكانت تقصف عندها المدرعات السورية وضربت هذه بمدافع سورية مع ان قواعد القتال تقض بالا يستعمل اللاسلكي في مثل

---

(١) ضابط الارتباط بين الجيش السوري والقيادة العامة بعمان .

(٢) هـــذا ماقاله لي قائد اللواء . واما رئيس الاركان فقد قال لي ان الامر الـــذي صدر من القيادة في عمان يقضي باحتـــلال سمخ والمستعمرات المجـــاورة لها وتأسيس زقبة جسر الى الغرب من الشريعة . ويضيف رئيس الاركان الى ذلك قوله ان العقيد عبد الوهاب الحكيم اخطأ لانه لم يحصن سمخ عند احتلاله لها في ٢١-٥ ولو حصنها لما وقعت بيد اليهود .

واكدلي الخبراء العسكريون ان اليهود لو تعقبوا الجيش السوري بعد هزيمة سمخ لاحتلوا دمشق.

هذه الحالات ::: وقتل في هذه المعركة من السوريين خلق كثير :

حدثني الزعيم عبد الله عطفه رئيس اركـــان الجيش السوري في ذلك الحين ان خسائر السوريين عندانسحابهم من مستعمرتي دجانيا وسمخ كانت زهاء ثلاثين شهيد آومئة وعشرين جريحاً .

يقول اليهود عن معركة سمخ .

١ ـ بينما كانت الطائرات السورية تضرب المستعمرات اليهودية القائمـــة في وادي الاردن ، تسندها الطائرات العراقية راحت الطائرات اليهودية تقصف قرية (حارب) السورية ، ومعسكر الجيش السوري في تل الاقصر وحشوده في الحمة وفي ضواحي ام قيس.

ويقولون :

٢ ـ ان الجيش السوري استخدم في اليوم الذي احتل فيه سمخ خمس عشرة مصفحة وعشر دبابات وحاملة برن وانه اقتصر في هجومه على الدبابات تساندها المدافع من بعيد بينما كمن المشاة في جهات الكرنتينا وعنـــد مفترق الطريق جنوبي السمخ . وفي الساعـــة السادسة من صباح ١٨ ايار شرع اليهود في الانسحاب من المدينة تاركين وراءهم عدداً من القتلى منهم ثلاثة من القواد احدهم قائد الحامية والثاني قائد النجدة وقيل ان هـــذا عندما جرح انتحر واعطب مدفعاً من المدافع اليهودية المضاد للدبـــابات ولم يبق بيـــد اليهود سوى عدد قليل من مدافع المعروفة بـ (برن) (وشاتو) ومدفع (بيزا) الرشاش، «وقد ذقنا الاهوال في مرابضنا . فقد كانت الابنية من حولنا تتهاوى الواحـــد اثر الاخر ، واستحكاماتنا تدمر الواحد تلو الآخر . وكان العدو يستعمل انواعاً من القنابل المدمرة والحارقة فتنفذ من جدار الاستحكام وتنفجر في داخله فتدمره مع حاميته .

اضف الى ذلك ان الجيش اليهودي لم يكن قد استعمل الى ذلك الحين، المدفعية وكان يفتقر اليها ، ولم يكن السلاح الجوي اليهودي يستحق الذكر في ذلك الحين .

ويقولون :

٣ ـ ان الجيش السوري كان يمطر الامكنة التي يمكن ان تأتي النجدات اليهودية منها الى سمخ بوابل من قذائفه، كالفراغ الواقع بين سمخ ودجانيا، والفراغ الواقع بين سمخ ومستعمرات فيكيم ومسعدة وشعار هاجولان ، وهذا ما جعل الانسحاب من سمخ عسيراً وهو الذي جعلهم يفقدون عدداً كبيراً من رجالهم عندما انسحبوا . ولاسيما لان الانسحاب جرى دون تغطية ، ومن استطاع النجاة لا يستطيع ان يذكر كيف نجا . فقد لجأ عدد كبير من الجرحى الى ركام شجر الصبر ، وانطرح عددا آخر بين الاعشاب ، ومات معظمهم من التزيف . والذين كتبت لهم الحياة فروا في اتجاه (دجانيا) ولما سقطت سمخ بيد السوريين

راحت العائلات اليهودية ترحل عن المستعمرات القائمة في وادي الاردن . وراح شباب اليهود يتنادون للدفاع عن المستعمرات .

ويقول اليهودعن معر كه دجانيا

٤ ـ ان الذين ركضوا لنجدة مستعمرتي دجانيا (أ) ودجانيا (ب) ينتمون الى السرايا التي اشتركت في احتلال صفد ، وانهم من المتطوعين العراقيين ، وان الهجوم السوري على هاتين المستعمرتين بدأ في صبيحة اليوم العشرين من ايار . وان السوريين اقتربوا الى مسافة مئتي متر من دجانيا (ب) وان هذا الهجوم الفولاذي ابتلع عدداً كبيراً جداً من الشبان اليهود .

ويقول اليهود عن معركة دجانيا(أ) :

انهم استعملوا في هذه المعركة عدداً غير قليل من مدافع المورتر ، وانهم تمكنوا من تدمير احدى المصفحات السورية التي كانت تسير صوب دجانيا بمحاذاة شاطىء بحيرة طبريا ، كما دمروا مصفحة اخرى عندما وصلت هذه الى بوابة المستعمرة وراحت تقتحم سياج الامان . واحرقوا ثالثة من طراز (رينو) بعد ان نجح رجالها من الوصول الى قلب المستعمرة ووقفت امام حديقة (غان موليا) ، ورغم الحريق ظل هؤلاء الرجال يطلقون النار على سكـــان المستعمرة ، الى ان تغلب عليهم اللهب فخروا صرعى ، وان اليهود استعملوا من اجل ذلك القنابل المعروفة بـ (مولوتوف) وكانت هذه الدبابة الثالثة تحمل مدفعاً من عيار ٣٨ ملمتراً ومدفعاً رشاشاً من طراز (شاتو) . وطرأ عطل على مصفحتين اخريين وقعت احداهما غنيمة بيد اليهود . الامر الذي جعل السوريين يبطئون في تقدمهم بالمشاة، وان ظلوا يقذفون الاستحكامات اليهودية بقذائفهم من بطاريات الميدان والرشاشات الثقيلة التي نصبوها على سطح عمارة البوليس في سمخ . فكان اليهود يردون عليها من مدافع المورتر من عيار ٣ بوصات .

واما عن معركة دجانيا (ب) فيقول اليهود :

ان الدبابات السورية كانت تقذف حممها من مسافة لا تزيد على مئتي متر ، وان المشاة السوريين كانوا يتحركون في اثر الدبابات، تساندهم بطاريات الميدان ومدافع الهوشكس من سطح عمارة البوليس في سمخ . ومن رشاشات البراوننغ . وكثيراً ما كان السوريون يصيبون الهدف في رميهم ، حتى ان احدى القذائف السورية اخترقت احد الاستحكامات اليهودية وانفجرت وقضت على عدد من ضباط الحامية كانوا في داخلـــه ، وكـــانت الاصابات بين اليهود في المرحلة الاولى من الهجوم كثيرة للغاية وظل الحال على هـــذا المنوال الى ان اتت اليهود نجدات جديدة وكانت هذه مسلحة بعدد من المدافع القوسية

(المورتر) فتغير وجه القتال، وعبثاً حاول السوريون مرتين اقتحام المستعمرة في ذلك النهار .

وعندما وصل الى الجبهة اليهودية بعد ظهر ذلك اليوم ٤٨/٥/٢٠ ولاول مرة في تاريخ القتال بطاريات من مدافع الميدان ، وراحت هذه تقصف المراكز السورية ، ادرك السوريون انه لا فائدة ترجي من مواصلة القتال هناك فانسحبوا .

وفي اليوم التالي ٢١-٥-٤٧ بدأت معركة سمخ الثانية فانسحب السوريون منها واحتلها اليهود .

الجيش اللبناني

•

في ١٥ ايار زحف الجيش اللبناني كما زحف غيره من الجيوش العربية ولما وصل الى حدود فلسطين وقف عندها واتخذ لنفسه خطة الدفاع . وكان طول هذه الحدود عبارة عن مئة وعشرة كيلو مترات وكان يقوده الجنرال الامير فؤاد شهاب وكان عدد القوات التي رابطت عند الحدود ثلاثة آلاف . هذا من اصل خمسة آلاف رجل هم الجيش كله . وظل الباقون يصونون الامن في داخل البلاد . وفي اليوم السادس من شهر حزيران سنة ١٩٤٨ احتل الفوج الثالث قرية (المالكية) . احتلها قاصداً تقوية خط الدفاع تساعده قوة من المدافع واخرى من المصفحات . وكان يقوده المقدم جميل الحسامي . احتلها بعد معركة دامية ، اشتبك فيها الفريقان بالسلاح الابيض وتراشقا القنابل اليدوية . وحضر احتلالها فضلاً عن قائد الجيش الجنرال الامير فؤاد شهاب ؛ وكل من الامير مجيد ارسلان وزير الدفاع ، وفوزي القاوقجي من رجال جيش الانقاذ .

وسارت قطعات من جيش الانقاذ بعد احتلال المالكية صوب الناصرة ، يقودها فوزي القاوقجي . ولكنها انكسرت فارتدت علي أعقابها ، وتعقبها اليهود ؛ فاجتازوا الحدود ، وتغلغلوا فيها بضعة كيلومترات محتلين بعض القرى . ولكنهم عادوا فخرجوا منها بطرق ديبلوماسية .

ويقول المطلعون على بواطن الامور ان الامير شهاب كان يعارض في هذه الحركة ، لا ، بل انه كان يصارح القوم بأن الجيش اللبناني لا يستطيع القتال . وانه اذا كان لا بد لهذا الجيش من الاشتراك في حرب منظمة فان عليه ان يتخذ لنفسه خطة الدفاع ، لا الهجوم .

واما رياض الصلح رئيس الوزراء ، فانه كان يقول : لا بد من الهجوم . ولما احتدم

الجدل بين الاثنين احتكما الى رئيسهما الاعلى وهو رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخوري. فوقف هذا الى جانب قائده ، وراح الجيش يقف عند الحدود مدافعاً .

وكان الجيش اللبناني موفور السلاح والذخيرة . وكان لديه منهما الشيء الكثير من بقايا الجيش الافرنسي .

ولما لم يكن في حاجة لها كلها فقد اعار جزءاً منها للجيش السوري . وهـــذا الجزء عبارة عن : اربعة مدافع من عيار ١٠٥ من مدافع الميدان واعتدتها . وكان معها اربعمئة قذيفة وعشرون جندياً واثنان من صف الضباط . وبقيت مع السوريين ثلاثة شهور .

ذلك لان اليهود كانوا اكثر تحرشاً بالسوريين منهم باللبنانيين . ولقد تطوع هؤلاء (أي السوريون) وارسلوا عدداً من جنودهم المتطوعين ، فراحوا يرابطون في القطاع الاوسط على مقربة من المالكية . وأما هو (اي الجيش اللبنـــاني) فقد ظل مرابطاً في قرية المالكية وضواحيها .

واستغرب الناس عندما سمعوا انه كان بين رجال المدفعية اللبنانية عدد من الضباط اليهود . وراحوا يتساءلون كيف يجوز ذلك ؟ واليهودي يهودي اينما حل وحيثما سار . وراح قادة الجيش يدفعون التهمة عن انفسهم بقولهم ان هذا العدد ليس بكبير ؛ وانه لا يزيد على اثنين هما :

(١) الكبتن (دوبين) رئيس مصلحة المـــدفعية ، وهو المسؤول عن شراء الاسلـــحة وتصليحها وعن الذخيرة والمحروقات . وقد تولى في فترة من فترات القتال قيادة مدفعية جيش الانقاذ في قطاع الناصرة .

(٢) الكبتن (سنانس) وهو طبيب في المستشفى العسكري .

وكلاهما من يهود بيروت المخلصين (؟) . ومن دلائل اخلاصهم ان قام بنو قومهم ، يهود فلسطين ، في ١٧ تشرين الاول ١٩٤٨ بهجوم شديد على لبنان . فاجتازوا الحدود واحتلوا سبع عشرة قرية من ضياعة(١) . وبعد ان مكثوا فيها بضعة ايام اخلوها. وهناك من يقول ان اخلاءها كان نتيجة ضغط سياسي .

---

(١) عرفنا من هذه القرى : – بليدا – ميس الجبل – مركبة – محيبيب (ام حبيب ؟) كفر كلا – القنطرة – عديسة – طيبة – تل النحاس – رب الثلاثين – الجنان – الحوالة

وقتل اليهود عدداً غير قليل من سكان هذه القرى . فمن قرية الحولة وحدها قتلوا تسعة وثمانين رجلا واربع نساء .

واما قائد الجيش اللبناني في حرب فلسطين فهو الامير فؤاد شهاب بن الامير عبد الله بن الامير حسن شهاب اللبناني . ولد في جونية سنة ١٩٠٣ م . ودرس علومه الثانوية في مدرسة الفرير بجونية . وفي الثامنة عشرة من عمره التحق بالجيش الافرنسي ، فدخل المدرسة الحربية بدمشق ، وتخرج منها برتبة ملازم . ثم ارسل الى فرنسا حيث اتم علومه العسكرية . وما زال حتى تخرج من مدرسة اركان الحرب العليا بباريس . وفي سنة ١٩٤٤ رقي الى رتبة زعيم (كولونيل) . وتولى الامر في لبنان بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٥٢ يوم أرغم الشيخ بشارة الخوري على التخلي عـــن منصبه كرئيس للجمهورية ، وتولى هو (اي الامير شهاب) رئاسة الدولـــة ، الى ان اجتمع مجلس النواب ، وانتخب كميل شمعون رئيساً للجمهورية وقد تم ذلك بتاريخ ٢٣ ايلول ١٩٥٢ .

الجيش العراقي

●

اجتاز حدود فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٨ . اجتازها عن طريق المفرق ــ وادي العرب المطل على وادي الاردن باتجاه جسر المجامع وقد تضاربت الآراء في تقدير القوة التي كان عليها يومئذ فمن قائل(١) انه كان مؤلفاً من القوة الآلية التي جاءت من بغداد وحطت رحلهـــا في المفرق في ٢ ايار ، ومن جحفل اللواء الاول الذي هبط المفرق ايضاً في ١٤ ايار .

ومن قائل(٢) ان القوة العراقية التي دخلت فلسطين ، واشتركت في مراحل القتال الاولى كانت عبارة عن جحفل(٣) واحد .

---

(١) هذا القول اقتبسته من ملفات وزارة الدفاع العراقية بتاريخ ٢٢ كانون الاول ١٩٥٣ .

(٢) قال لي هذا القول عامر حسك من رجال جيش الانقاذ وكان في حرب فلسطين آمراً للواء اليرموك الاول .

(٣) الجحفل العراقي عبارة عن ثلاثة افواج مجموع رجالها الفان .

وقال بعض النقاد من العراقيين انفسهم(١) انه كان باستطـــاعة القيادة العراقية ان ترسل الى فلسطين ، عند بدء القتـــال ، اكثر من نصف قوات الجيش العراقي ، والا تكتفي بارسال جزء ضئيل منه .

ويذكر هؤلاء النقاد ان الحكومة العراقية ســـاقت ، سنة ١٩٣٥ ، فرقة كاملة من جيشها الى الديوانية لقمع ثورة اوقد نارها الشيخ خوام العبد العباسي من مشايخ الديوانية مع ان العصاة الذين اشتركوا في تلك الثورة لا يزيدون على الثـــلاثين الا قليلا وكانوا متحصنين في قلعة أنشئت من طين . وكان يقود الفرقة العراقية عامئذ القـــائد العراقي المشهور بكر صدقي ، ورئيس أركانه طه الهاشمي .

حدثني امير اللواء الركن اسماعيل صفوت باشا ان القوة التي قادها بكر صدقي في حركات الفرات الاولى ، حوالي ١٩٣٦ ، كانت عبارة عن فرقة وانه هو نفسه (اي اسماعيل صفوت باشا) قاد القوات العراقية التي اشتركت في حركات بارزان الاخيرة ، حوالي ١٩٤٦ ، وقد اشترك في تلك الحركات عامئذ معظم قوات الجيش العراقي .

وسألت العميد الركن نور الدين محمود باشا الذي تولى قيادة القطعـــات العراقية في حرب فلسطين عندما زرته ببغداد مستطلعاً رأيه في هذا الصدد فقلت له :

« مما لا شك فيه ان القوة العراقية كانت ، عند بدء القتال ، قليلة . ولكنها كثرت بعد الهدنة الاولى . فهل كان ذلك ناشئاً عن الاسلوب العسكري الذي يقضي بتدريب الجنود وحشدهم على مراحل تدريجية ، ام انه ناشىء عن الاعتقاد بأن اليهود حبناء . وان التغلب عليهم لا يحتاج الى جيش كبير » .

فقال :

« كلا السببين واقع ، لا سبيل الى انكاره » .

ولما لاحظ المخلصون من ابناء العراق تلكؤاً في ارسال الجيش العراقي وكان القتال قد اشتد بين اليهود والمجاهدين من عرب فلسطين، راحوا يصرخون، وقام طلاب المدارس العراقية بمظاهرات صاخبة في شوارع بغـــداد طالبين الاسراع في سوق الجيش لانقاذ فلسطين ؛ واعتصم عدد كبير منهم في مدارسهم واضربوا عن الطعام ، الى ان وعدت الحكومة بارسال الجيش ، وقد ارسلته .

---

(١) سمعتهم يتحدثون بمرارة عن هذه الناحية عندما نزلتُ بغداد في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٣ مستطلعاً آراءهم فيما جرى بفلسطين .